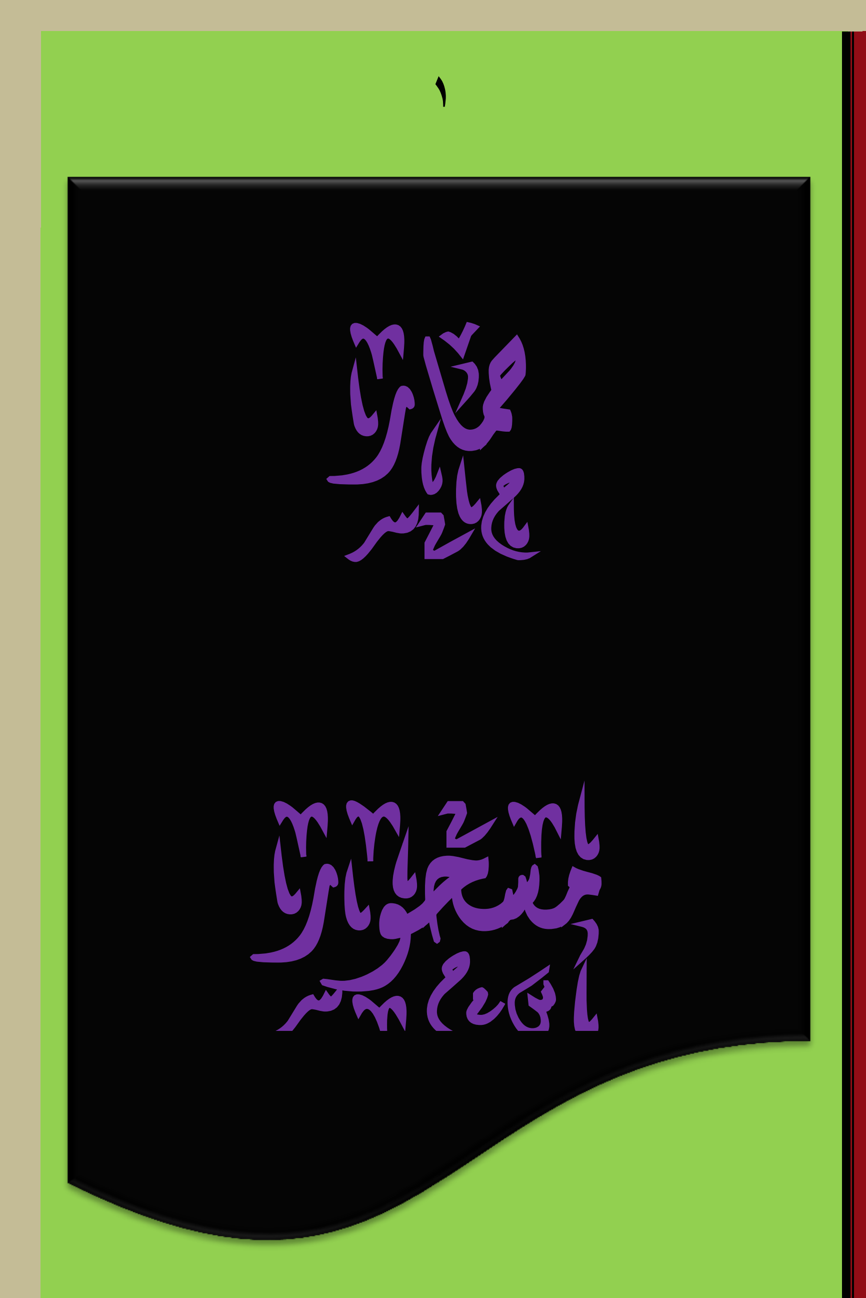
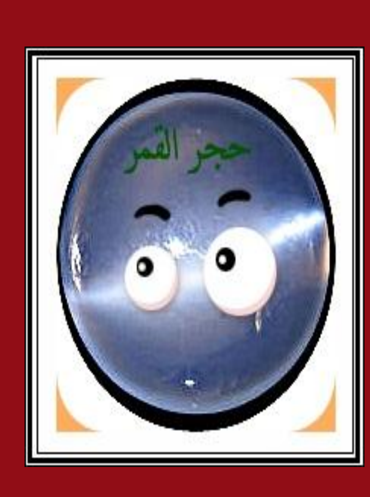




بقلم
جمال شاهين

المكتبة الخاصة ٢٠٢١

بسم الله الرحمن الرحيم




حجر القمر


حمار مسحور

الحمار المسحور

كانت ساحرة تعيش في مدينة الشمس ، ولها قصص مزعجة للناس خاصة الرجال ؛ فإذا عشقت رجلا ظلت تطارده حتى يقبل بها قرينة وحليلة ، وبعد سنة أو أكثر بقليل يختفي الرجل من المدينة ، ولا يعرف أبناؤه وزوجته وأقاربه قبل خطفه علنا من قبل الساحرة أين اختفى ؟ ولما يشتكي أهل الرجل للشرطة تخبرهم الساحرة أنه ذهب في تجارة ولم يعد ، وعندما يسأل رجال القوافل التجار عنه لا يذكرونه، فتزعم وتكرر لهم أنه خرج في تجارة خاصة بها ، وهذا معروف عنها ، فهي بين الحين والآخر تستثمر بعض مالها في التجارة .

ضاق الناس بها ذرعا ، وأصبح من الصعب أن يقبل بها أحد كزوجة من أهل المدينة ، فعمدت إلى الزواج من رجال أغراب عن المدينة ، وعندما يختفون لا يهتم باختفائهم أحد ظانين أنها طلقتهم، وعادوا لبلادهم ،فتركها الناس وشرورها.

ولما كانت تصطاد ذكرا كان الناس يحذرونه من سحرها وظلمها وكذبها ، ومن يصدق ينجو من براثنها وفتنتها ؛ لأنها كانت تظهر أمام فريستها بأجمل هيئة ؛ وكأنها فتاة صغيرة ، ولما ير الخطيب عقود الذهب والجواهر التي تزين نفسها بها والغنى الذي ينتظره يقع في غرامها ويزيغ فؤاده ، ويقع في شبكة العنكبوت فينسى أم أولاده وأولاده .

دخل المدينة شاب جميل سمع عن جمالها وشبابها من أحد غلمانها ، فقرر الإتيان لمدينة الشمس والالتقاء بالساحرة ليمونة.

وكانت تستعد لهذا اللقاء ، فكانت بأبهى زينة وتبرج ، واستقبلته في قصرها الجميل ، فلما رآها لم يقدر على فراقها لهفة ورغبة ، فقبل بها زوجة ، ولم يسمع نصح ناصح ، ولم يصدق أنها تزوجت عددا من الرجال ، وعاش في القصر في غاية السعادة والحب ، طعام شراب خدم .

كان الناس بعد زواج الساحرة من الشاب لهفان في غاية الاستغراب بعد صبرها عليه ثلاث سنوات ، وكان يبدو للناس سعيدا بها ، والنساء يزعمن أنها قنعت به ، ولم ترغب بغيره من الرجال ؛ كما اعتادوا ذلك.

وكانت تقول لهن : إنه أفضل رجل التقت به ، وإنها تحبه حبا جما.

هذا ما لاحظه الناس والجيران من سعادتها ، وكان الشاب لهفان دائم المدح والثناء على زوجته ،ويزعم أنها لم تغدر بأي أحد ممن تزوجته ؛ إنما كانوا يهجرونها ويهربون منه ، ويختفون من حياتها بإرادتهم ومللهم .

ذات يوم زار رجل غريب بيت الساحرة ، وعرف الناس أن هذا الزائر شقيق لهفان وأنه قدم لأخيه يطالبه بزيارة أمه التي أصبحت على وشك الموت ، ولها شهوة ورغبة برؤية ابنها قبل فراق الدنيا ، ورفضت الساحرة سفر زوجها مع أخيه ، وأنها لا تستطيع فراقه، وقد بليت بهواه ، وأعاد لها حياة الشباب ، وحتى ورفضت السفر بمعيته .

وحل الحزن الشديد بقلب الزوج لرفضها طلب أمه ، فبدأت المشاجرات والشكوى من تجبر زوجته به ، وأنها تحرمه من أمه ، وأقنعت النسوة الساحرة بالسفر معه حتى تضمن عودته ، وغادرا المدينة معا ،وقد استسلمت الساحرة للوم المقربات .

وبعد شهور غياب عن مدينة الشمس رجعت الساحرة بدون لهفان ، وعلم الناس منها بموته بعد مرض ، لم يمهله طويلا .

أكثر الناس لم يصدق موت لهفان ؛ بل اتهمها بعضهم بقتله والخلاص منه ؛ كما تخلصت ممن تزوجتهم قبله ؛ لأنه أجبرها على السفر لمقابلة والدته ،وأشاع بعض آخر همسا بأنه طلقها ، وأنها تزعم موته .

كان ضفير فلاح صغير يملك حقلا صغيرا أو أرضا صغيرة يحرثها ، ويزرع فيها الحبوب وبعض أنواع الخضار ، وكان لديه جحش اشتراه منذ أيام بدلا من الحمار الذي هلك من عهد قريب، فكان هذا الجحش يقوم بحراثة الارض ونقل البضاعة الى سوق البلدة ، وكان هذا الحمار دائم البكاء والدموع مما أزعج ضفير حتى أنه فكر ببيعه والخلاص منه ، رغم تعلقه به حتى أن زوجته تقول هذا حمار خجول يا ضفير !

قال : كيف هو خجول؟ إنما هو حمار !

قالت : عندما أذهب لأضع العشب والعلف أمامه يبتعد عني ، ويظل يراقبني بطرف عينه حتى أخرج من حظيرته ، ثم يزحف للطعام ، واذا عدت يهرب لداخل الحظيرة .

قال : حمار عجيب !

قالت : نعم ، لا يحب أن يأكل وأنا معه في الحظيرة .

قال بضجر : أما أنا فيزهقني بكثرة دموعه، ونهيقه المحزن ؛ كأنه طفل يبكي!

فهتف الزوجة : فعلا عندما أسمع نهيقه أظنه يبكي !

فقال : لعله رجل!

هتفت بعجب وحيرة : رجل وحمار!

فقال محتارا مثلها: فكرت ببيعه ، فهو رغم شبابه يتعب بسرعة ؛ ليس كالحمار الذي فقدته ، كان حمارا قويا وجبارا .

قالت مذكرة زوجها عن الحمار الهالك : لا تنسى أننا اشتريناه صغيرا يا ضفير ! وترعرع هنا ، مع الزمن سيُصبِح مثل قرينه.

تنهد بعمق وقال : نعم ، لا أنسى .. متى سيأتي ضيوفنا؟

اجابت : خلال هذا الشهر بمشيئة الرب تعالى .

قال مرحبا : على الرحب والسعة.

تمر الايام والفلاح الشاب ضفير يعاني من الحمار ، ومن ضعفه وهزاله ، لم يعد يأكل بصورة جيدة ، وخشي عليه الموت كحماره السابق ، فنزل به السوق حيث تباع الحمير والحيوانات الانسية ، وبعد جهد جهيد قبل به أحد الناس.

وبعد يوم واحد تفاجأ به ضفير يقف أمام منزله راغبا بإعادة الحمار ، وأخذ الثمن وفي بداية اللقاء رفض ضفير الغاء البيع ، ثم لان عندما أخبره الرجل أن هذا حمار ضعيف على وشك الموت .

وفي الصباح ساقه ضفير الى السوق من جديد ، وبينما هو يدلل عليه اقترب منه رجل شيخ في السن، وقال ويحك أهذا الحمار لك ؟!

رد ضفير بأسى : نعم ، يا أخي ! وثمنه بخس اذا كنّت به راغب.

قال الشيخ : إن نهيقه ليس بصوت حمار ! إنه يبكي أيها الرجل ؛ لعلك تتعبه.

قال : لا ، بستاني صغير ، وقد ابتعته من عهد قريب.

قال الشيخ : هذا أيها الفلاح ما هو بحمار!

ضحك ضفير وقال نكدا : لعله قرد أيها الشيخ!

قال الشيخ : هذا إنسان مسحور!

قال فزعا : مسحور!!

قال الشيخ : نعم ، هذا رجل تعرض للسحر .

قال : عجيب !!

قال الشيخ : أنا واثق أنه مسحور .. انظر أنه يكاد ينطق ويقول لنا : أنا إنسان !

وكان الحمار يهزّ رأسه بقوة كأنه يقول : أنا بشر مثلكم.

وقال الفلاح وهو غير مصدق : ومن سحره وغير صورته؟!

تحدث الشيخ مع الحمار ، ثم قال : هل سحرتك زوجتك؟

فصاح الحمار مصدقا ومهتاجا ، فقال الشيخ للفلاح : أرأيت ؟

قال : كيف عرفت أنه مسحور؟

قال الشيخ : أنا لي زمن أبحث عنه أنا شقيقه.

قال : شقيقه ! أنت شقيق هذا الحمار ! وهل أنت سحرته؟!

قال الشيخ بهدوء مدرك صدمة الفلاح : لا ، سحرته زوجته ، لقد تزوج ساحرة فاجرة ، لما زرته في قصرها عرفت الأمر منه ، ومن الناس ، وسعيت لإنقاذه من براثنها ؛ ولكنه كان متعلقا بهواها وغرامها، وأنا عرفت ذلك لما زرته لرغبة أمي برؤيته قبل موتها ، ولما جاء إلينا

لمشاهدة والدته المحتضرة ، جاءت معه الساحرة ، وعرفت أنني أسعى في طلاقهما ، وإنقاذه منها ، وأثناء العودة لمدينة الشمس بعد زيارة أمي تشاجرا في الطريق لرغبته بالبقاء معنا حتى وفاة أمنا ، فاحتالت عليه ورجعت به لبلادها ، وقبل أن يصل لهفان سحرته ، وزعمت للناس في المدينة أنه مرض ومات متأثرا بسقمه ، وذهبت لزياته وإخباره بوفاته أمه ، وقد أوصت بأن يطلق الساحرة ، فعلمت ما قيل من أهل الحي والجيران ، وعلمت منها بأنها صورته وحولته لحمار لما هددتها بالموت والقتل ، فأخذت بالبحث عنه في أسواق الحيوان في المدن والقرى التي بين مدينتا ومدينة الساحرة اللعينة.. فهذا قصة الحمار المسحور.

قال : وكيف ستعيده لصورته الاولى؟!

قال الشيخ : سأشتريه منك ، وأذهب به لافك سحره .

وعانق الحمار وهو يبكي ، فقال الرجل : عليّ أن أصدق هذه الحكاية !

وابتاع الشيخ رزق الحمار ، ومشى به نحو بلاده ، وكان يهتم به ويرعاه ، وأفرد له حجرة نظيفة ، ويضع أمامه أجود الشعير والخضار ، مما أدهش الأسرة والأقارب من أفعاله والاهتمام الزائد بهذا الحيوان حتى أن زوجته قالت : إنك تعامل هذا الحمار أفضل مني !

فيقول الشيخ : هذا أخي العزيز لهفان .

فقالت وقد ظنت خبل زوجها : هل أخوك أصبح حمارا؟!

فيجيب بـنعم: هذا الحمار هو أخي لهفان .

فتسخط وتقول : إنك تسخر مني يا رزق!

فيقول لتصدقه : لا أسخر منك.. انظري إليه كيف يتحاشى النظر إليك ؟ هل يفعل الحمار ذلك؟

قالت غير مصدقة : وهل يفهم الحمار؟!

فصاح : هذا أخي! قد سحرته زوجته اللعينة إلى حمار.

قالت : تلك المرأة الشريرة التي زارتنا قبل سنة !

هتف فقال : نعم ، إنها ساحرة خبيثة النفس ، رغبته بنفسها ، ولما تزوجها ملّت منه وسحرته ؛ وربما سحرت غيره من الازواج ؛ كما علمت من جيرانها أنها تزوجت عددا من الرجال .

قالت بشك وريب : وماذا فعل أهلوهم؟!

قال الشيخ : لا شيء ، هم أغراب عن بلدها ، وتزعم للناس أنهم ماتوا وهلكوا في تجارة لها .

فقالت للحمار : أأنت لهفان؟!

فنهق بحزن وهزّ رأسا أكثر من مرة ؛ كأنه يقول : نعم ، أنا لهفان حبستني الساحرة بصورة حمار.

وقالت لزوجها شبه مصدقة : وما العمل يا رزق لفك سحره؟

قال الشيخ بحيرة : لا أدري ! لحد اليوم أفكر بالبحث عن ساحر أقوى منها.. أفكر بقتلها إن لم ترفع السحر عنه .. أفكر بالزواج منها لاستدراجها بكشف السحر.

فقالت بقلق : أخشى أن تفعل بك ما فعلت بأخيك ، وتحولك لقرد أو حمار.

قال الشيخ برعب : هذا ما أخشاه! إنها تصنع مركبات وطلاسم عجيبة ؛ كما يخبر من حولها.

قالت : ولماذا لم يقتلها أمير تلك المدينة؟!

قال الشيخ مجيبا : هي تتهم بالسحر والقتل السري ، لا أحد يثبت عليها الجرم .

قالت : إنها ساحرة فعلا ! وماذا سنفعل لهذا الحمار المسكين ؟!

قال الشيخ : هذا ما أفكر بحله ، أنتظر عودة شقيقك ملاك ، فهو رجل خبير وكثير السفر؛ لعله يرشدني لساحر أعظم وأقوى منها .

قالت : ملاك له مده خارج البلاد ، طالت سفرته هذه السنة .

قال الشيخ : أعرف ، وأنا في انتظاره منذ وجدت أخي عند أحد الفلاحين ، يحرث عليه حتى هزل وضعف ، وأشرف على الموت .

قالت : يا للمسكين!!

قال الشيخ معتذرا عن الفلاح : هو اشتراه على أنه حمار ؛ ولكنه لا يستطيع بالقيام بواجبات

الحمار الحقيقي ؛ فكان يقع كثيرا على الارض ، ويهزل ، فذهب به للسوق لبيعه ، وهناك وجدته فعرفته .

أقبل ملاك شقيق زوجة رزق من رحلته وسياحته ، ولما علم بما حصل من السحر للهفان تألم كثيرا ، وأخذ يشحذ ذهنه ليتذكر رجلا أو إنسانا قادر على إنقاذ الشاب الجميل لهفان ، وتذكر بعد زمن يسير الحكيم نادر في مدينة الشفق ، فساق الحمار المسحور ورزق إلى مدينة الشفق ؛ حيث الحكيم نادر ، ولما وصلا قصره رحب بهم ، ونظر الحمار بعين العطف والحزن ووعد بالمساعدة ، وفك السحر الذي أصاب الشاب المسحور لهفان

وبعد تفكير عميق قرر الذهاب لبلاد الشمس والتعرف على الساحرة ، ليعرف المواد التي ركب منها الداء والسحر ، وطلب من ملاك ورزق والحمار العودة لبلادهم حتى اذا تمكن من معرفة الدواء ، أتى إليهم ، فهم توجهوا لبلدهم ،وهو ركب بغلته البيضاء ، وحمل جراب الطب لمدينة الشمس لمقابلة الساحرة ليمونة .

ولما التقى بها بعد عقبات لا تذكر كشف له أمره ، وأنه حكيم مدينة الشفق وتوعدها بسحرها ، وتحويلها لدابة اذا رفضت كشف السحر الذي فعلته بزوجها لهفان ، فرفضت الاعتراف بحياته ، وأنها سحرته ، وأمام عنادها واصراها غادر المدينة إلى جبل الحكماء ، والتقى بكبيرهم ، وقص عليه قصة الشاب المسحور لهفان ، فقبل الحكيم الكبير مساعدة الحكيم نادر .

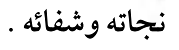
الساحرة لما تركها الحكيم نادر رغم تعجرفها واستكبارها شعرت بالخوف ، فهي تعرف الحكيم نادر ، فغادرت المدينة سرا ، وذهبت تبحث عن لهفان ؛ حيث باعته ولما وصلت بيت الفلاح ضفير الذي ابتاع الحمار منها بعدما سحرته ، أخبرها أن الحمار كان رجلا مسحورا ، أخوه أخذه منه، فقالت بخبث : أنا جئت لأني علمت ذلك.

ومشت إلى مدينة رزق ولهفان ، ثم علمت من زوجته أن الحكيم نادر أتى وأخذه لجبل الحكماء لعلاج من سحرها، وقامت زوجة رزق وأقاربه بالاعتداء عليها بالضرب ورميها الحجرة ، وهي تتوعدهم بالويل والثبور .

ولما خرجت من المدينة تنفست الصعداء ، وتفقدت جسمها ومسحت الدماء التي سالت من رأسها ، وتخلت من البحث عن الحمار المسحور ، وبينما هي تتجول في المدن تقدم منها رجلان وأوثقاها وحملاها على بغلة شهباء إلى جبل الحكماء .

ولما التقت بالحكيم الكبير أنبها وأهانها وأذلها وأمر بحبسها حتى يشفى لهفان ويعود لحياته الإنسية ، ولما انتهى العلاج والدواء ، وعاد الوعي للرجل قابل زوجته في سجنها ، وأعلن طلاقها وعاد لبلده مع أخيه وصهر أخيه نادما على ما سببه لهم من نصب وتعب ، وأظهر ندمه على تصميمه من الزواج من ساحرة .

ولما استقر في المدينة ، وتعافى كليا من آثار السحر والسقم تزوج امرأة من وطنه وحمد الله على نجاته وشفائه .






حجر القمر